



القيم الأخلاقية في التفسير القرآني

د. عبد القادر الشايط

باحث - وجدة - المملكة المغربية

abdelkader_chait@hotmail.com

ملخص

كثرت توجيهات القرآن والسنة في الحث على التمسك بالقيم الأخلاقية الفاضلة، والعمل على تنميتها، بأحسن الصور والأفعال، لأن الاهتمام بمنظومة القيم الإسلامية له عظيم الأثر في تماسك المجتمع، وبناء الأمم والشعوب، وإن الانحراف عنها يعد أحد أهم أسباب مشكلات شؤون الحياة المختلفة التي يشهدها العالم اليوم. ومن هنا، تأتي ضرورة الاهتمام بالقيم الأخلاقية التي وردت فيها العديد من النصوص الدينية، والتي رغب فيها الإسلام، ووقف عليها علماء التفسير بالدراسة والتحليل، لتوظيفها في المجال الإنساني، والانتفاع بها في عمارة الأرض وإصلاحها. الكلمات المفتاحية: القيم الأخلاقية، منظومة القيم، تماسك المجتمع، علماء التفسير.

Abstract

Moral values in the Tafsir Quranic

It is noticeable that the global, Arab and Islamic community suffers from a significant decline in the level of values, which contributed to various social problems, hence the importance of researching Islamic moral values, because they are the path to stability, security and development, and this can only be done by referring to books on the interpretation of the Qur'an and extracting values Of which.

key words: the level of values, moral values, the Qur'an

مقدمة

يعد اهتمام الإسلام بالقيم الفاضلة من أهم العوامل التي حفظت الأمة العربية من التدهور والانحلال الخلقي الذي كانت تعاني منه الأمم الأخرى قديما وحديثا لأن للقيم أثرا كبيرا في معظم مجالات الحياة، إذ تقوم عليها نهضة وتطور الأمم والشعوب، وبالقيم تتناسك الأنظمة الاجتماعية لدى الأمم، كما أنها تساعد على الاحتفاظ بهويتها وذاتيتها، وبالقيم يرتبط مستقبلها واستقرارها.

وعلى الرغم من كثرة اهتمام علماء المسلمين بمادة علوم القرآن قديما، إلا أن اهتمامهم بوضع الدراسات المتخصصة في إبراز منظومة القيم الإسلامية في المصطلح القرآني قليل جدا، وإن كانت جهودهم لا تخلو من إشارات ونظرات إلى مقاصد القرآن العامة، في حين جعل بعض المفسرين المتأخرين موضوع القيم أساسا وأصلا من أصول التفسير، التي بحسن توظيفها يكتسب الفرد الكثير من الصفات والقيم والأخلاق والمبادئ السامية، ويقود إلى بناء مجتمع قوي ومتآلف.

1-دوافع اختيار موضوع البحث

إن من وراء اختياري لموضوع هذا البحث دوافع ذاتية وأخرى موضوعية، وهي كالآتي:

*الدوافع الذاتية:

- انطلقت فكرة هذا البحث "القيم الأخلاقية في التراث التفسيري" من اقتناعي الشخصي بأهمية القيم الإسلامية، ودورها في بناء الإنسان؛ وذلك لمصدرها الرباني، إضافة إلى حلولها الناجعة للأزمات التي تمر بها المجتمعات العربية والغربية اليوم، نتيجة انهيار المنظومة القيمية.

*الأسباب الموضوعية:

- يعتبر مجال القيم الأخلاقية موضوعا رئيسا في تراث العلوم الإسلامية، ومن هذا المنطلق، اخترت أن أسهم بهذا البحث تعزيزا للقيم التضامنية، وتحقيقا للعدالة الاجتماعية المفتقدة، وتقوية للتنمية المستدامة المنشودة في الشريعة الإسلامية.

- حاجة الناس في وقتنا الحاضر إلى معرفة القيم الإسلامية، ودورها في إصلاح الفرد واستقرار المجتمع.

2- إشكالية الدراسة وتساؤلاتها:

على الرغم من أن مدارس التفسير القديمة منها والحديثة نهجت منهجاً إصلاحياً في شتى مناحيه، وأظهرت ما في القرآن الكريم من سنن الكون الاجتماعية، وعالجت مشاكل الأمة الإسلامية خاصة ومشاكل الأمم عامة، اعتماداً على التوجيه القرآني، إلا أننا نجد موضوع القيم في التراث التفسيري الإسلامي لم يأخذ حقه من الدراسة، للاستفادة منه، وتأسيس منظومة قيمية إسلامية، تأخذ من روح الإسلام وتصوراته المعرفية والوجدانية.

وعلى ضوء ما سبق نطرح الإشكالية التالية:

- ما مدى مساهمة التفسير في إصلاح النظام القيمي للأمة الإسلامية، وإعادة الروح الجماعية للمسلمين، والتنظير لمنظومة قيمية إسلامية؟

وتتفرع عن الإشكالية الأسئلة الفرعية التالية:

- ما هي مصادر القيم الإسلامية وما أنواعها؟

- ما مفهوم القيم الأخلاقية في الإسلام وما أثرها في إصلاح الفرد والمجتمع؟

- هل مدرسة التفسير عملت على إصلاح منظومة القيم الفردية والجماعية؟

3-فرضيات الدراسة:

- التفسير يحوي منظومة قيمية، تستوعب حاجات الأفراد والجماعات، وتشكل هوية جماعية مشتركة، وتخدم الفرد والمجتمع على حد سواء.

- إن الثروة التفسيرية القيمية الأخلاقية الهائلة لعلماء الإسلام يمكنها الإسهام في إصلاح الفرد وصالح المجتمع واستقراره.

4-أهمية البحث وأهدافه:

- تحديد مفهوم " القيم والأخلاق " من منظور شرعي، مع بيان مصادرها وأنواعها.

- ترسيخ القيم الإسلامية الفاضلة في عقيدة المسلمين.

- بيان الآثار السلبية لتخلي المسلمين عن القيم والأخلاق الإسلامية.

- تأصيل منظومة القيم الأخلاقية من منظور إسلامي بعيداً عن التبعية المطلقة للفلسفات الوضعيّة، والدراسات السيكلوجية.

5- منهج البحث:

إن طبيعة موضوع الدراسة تدعو إلى التوفيق بين مجموعة من المناهج، ومنها نذكر:

- المنهج الوصفي: حيث قمت بتوصيف لمفهوم القيم الأخلاقية من خلال تعاريف اصطلاحية، وبيان بعض نماذجها، ثم تحليل النصوص والأقوال ومعرفة مقاصدها، واستنباط الأحكام منها.

- المنهج الاستقرائي: كما التزمت في هذه الدراسة بمنهج علمي استقرائي يقوم على استقراء جزئي لبعض الآيات ذات المقاصد القيمية.

- المنهج المقارن: عرضت أقوال أهل التفسير في قضايا قيمية معينة، وحاولت المقارنة بين المتن التفسيري القديم والحديث للوقوف على أهمية المنظومة القيمية عند أهل التفسير

6- خطة البحث

مقدمة: تضمنت بيان أهمية الموضوع وأهدافه، وأسباب اختياره

المحور الأول: القيم الأخلاقية والاجتماعية في القرآن الكريم

الفرع الأول: مفهوم القيم لغة واصطلاحاً

الفرع الثاني: مصادر القيم

الفرع الثالث: ترابط القيم الأخلاقية والاجتماعية في المنهج القرآني

المحور الثاني: القيم الأخلاقية في الإسلام وأثرها في إصلاح الفرد والمجتمع

الفرع الأول: مفهوم الأخلاق لغة واصطلاحاً

الفرع الثاني: أهمية الأخلاق في الحياة الاجتماعية

الفرع الثالث: منهج القرآن في غرس القيم الأخلاقية

الفرع الرابع: نماذج من القيم الأخلاقية الإسلامية في كتب التفسير

الخاتمة: تضمنت أهم الخلاصات والنتائج المتوصل إليها في الدراسة، علاوة على جملة مقترحات وتوصيات

المحور الأول: القيم الأخلاقية والاجتماعية في القرآن الكريم

الفرع الأول: مفهوم القيم لغة واصطلاحاً

مفهوم القيم في اللغة:

استخدمت مفردة "قيمة" منذ القدم وأريد بها معان متعددة متباينة الاختلاف، وما فتى الباحثون عن مدلول هذه الكلمة يذكرون لنا الأصول اللغوية التي اشتقت منها ويبينون لنا مداليلها.

استخدمت مفردة "قيمة" منذ القدم وأريد بها معان متعددة متباينة الاختلاف، وما فتى الباحثون عن مدلول هذه الكلمة يذكرون لنا الأصول اللغوية التي اشتقت منها ويبينون لنا مداليلها.

وقد جاء في لسان العرب لابن منظور "القيمة: واحدة القيم، وأصله الواو، لأنه مقام الشيء. والقيمة: ثمن الشيء بالتقويم، تقول: تقاموه فيما بينهم، وإذا انقاد الشيء واستمرت طريقته فقد استقام لوجهه، ويقال: كم قامت ناقتك؟ أي: كم بلغت؟ وقد قامت الأمة مائة دينار: أي بلغت قيمتها مائة دينار، وكم قامت أمتك؟ أي:

بلغت⁽¹⁾. وقيمة المتاع ثمنه⁽²⁾ وقدره.

وقال الفيومي: "الْقَوَامُ بالكسر ما يقيم الإنسان من الْقَوْتِ وَالْقَوَامُ بالفتح الْعَدْلُ وَالْإِعْتِدَالُ قال تعالى: ﴿وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: 67] أي عَدْلًا وهو حسنُ الْقَوَامِ أي الاعتدال⁽³⁾.

وفي القاموس المحيط، للفيروزآبادي: الْقِيَمَةُ بالكسر: واحدة الْقِيَمِ، وما لَه قِيَمَةٌ: إذا لم يَدُمْ على شيء، وَقَوِّمْتُ السَّلْعَةَ وَأَسْتَقَمْتُه: ثَمَّتُهُ، واستقام: اعتدل، وَقَوِّمْتُه: عدلته، فهو قَوِيمٌ ومُسْتَقِيمٌ، وما أَقْوَمُهُ: شاذٌّ، والقَوَامُ - كَسَحَابٍ - : العَدْلُ وما يُعَاش به، وبالضم: داءٌ في قوائمِ الشاءِ، وبالكسر: نظام الأمر وعِماده ومِلاكُه؛ كقيامه وَقَوِّمِيَّتِهِ⁽⁴⁾.

وذكر الراغب الأصفهاني في «المفردات»: تقويم الشيء تثقيفه، قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: 4]، وذلك إشارة إلى ما خص به الإنسان من بين الحيوان من العقل والفهم، وانتصاب القامة الدالة على استيلائه على كل ما في العالم⁽⁵⁾.

ومما سبق يتضح أن مادة قوم استعملت في اللغة لعدة معان، منها قيمة الشيء وثمرته، والاستقامة والاعتدال، ونظام الأمر وعِماده، وبالتالي تكون القيم ذات دلالة معنوية عظيمة؛ ولهذا سميت كذلك، وهي دلالة على الاستقامة، وهي التي تحدد

(1) - لسان العرب، ابن منظور الإفريقي المصري، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ، مادة قوم، 500/12.

(2) - المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، مجمع اللغة العربية، أحمد حسن الزيات، حامد عبد القادر، محمد علي البخار، مطبعة دار الدعوة، تركيا، 1989م، مادة قوم الْقَوْمُ، 767/2.

(3) - المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي، تحقيق عبد العظيم الشناوي، المكتبة العلمية، بيروت، ط2، 2010م، 520/2.

(4) - القاموس المحيط، للفيروزآبادي، تحقيق: مكتب التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، ط8، 1426هـ/2005م، 1387/1.

(5) - مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق صفوان عدنان داوودي، دار القلم، بيروت، ط2، 1418هـ/1997م، ص69.

مسار الأخلاق الإيجابية في الفرد والمجتمع.

مفهوم القيم في الاصطلاح:

إن مصطلح القيم مصطلح حديث بالنسبة إلى هويتنا اللغوية والقومية و الإسلامية، ولعله مترجم عن اللغات الأجنبية بمعانيه المختلفة، وإن المعاجم اللغوية العربية الحديثة تقدمه لنا كما ورد في الثقافة الغربية فتارة بفلسفة القيم وتارة أخرى بنظرية القيم.

والدراسات المتعددة قد أرسيت مفهوم علم القيم ضمن موضوعات علم النفس، وعلم الاجتماع، والاقتصاد، والأخلاق... لأن موضوع القيم من المفاهيم الضرورية والجوهرية لدراسة المجتمع، وتحديد درجة رقي وتحضر المجتمعات. وقد لقيت الدراسات القيمية اهتماما كبيرا منذ زمن بعيد على يد العديد من علماء الاجتماع وعلماء النفس والاقتصاد والسياسة، وقد عرفت القيم في الاصطلاح بعدة تعريفات، منها:

القيم: هي مستوى أو مقياس أو معيار نحكم بمقتضاه ونقيس به ونحدد على أساسه المرغوب فيه أو الرغوب عنه⁽¹⁾.

أن القيم هي صفات، أو مثل، أو قواعد... تقام عليها الحياة البشرية فتكون بها حياة إنسانية، وتعاير وتُعَايرُ بها النظم والأفعال؛ لتُعرف قيمتها الإنسانية من خلال ما تتمثله منها⁽²⁾.

وعرفها البعض بأنها: مجموعة من القواعد التي تقوم عليها الحياة الإنسانية، وتختلف بها عن الحياة الحيوانية⁽³⁾.

(1)- التطور القيمي وتنمية المجتمعات الدينية، محمد إبراهيم كاظم، المجلة الاجتماعية القومية، القاهرة، 1971م، ص111.

(2)- السلفية وقضايا العصر، عبد الرحمن بن زيد الزنيدى، مركز الدراسات والإعلام دار إشبيلية، الرياض، ط1، 1418هـ/1998م، ص462.

(3)- الثقافة الإسلامية: تخصصا ومادة وقسا علميا، عبد الله بن إبراهيم الطريقي، فهرسة مكتبة

كما عرفها بعض علماء الفكر الإسلامي، بأنها:

حكمٌ يصدره الإنسانُ على شيءٍ ما، مهتدياً بمجموعةِ المبادئ والمعايير التي ارتضاها الشرع، محدداً المرغوب فيه والمرغوب عنه من السلوك⁽¹⁾.

ومن العبارات الجامعة لتعريف القيم: هي أنها مجموعة من المعايير والأحكام النابعة من تصورات أساسية عن الكون والحياة والإنسان والإله، كما صورها الإسلام، تتكون لدى الفرد والمجتمع من خلال التفاعل مع المواقف والخبرات الفردية والاجتماعية، بحيث تمكنه من اختيار أهداف وتوجهات لحياته تتلاءم مع قدراته وإمكانياته، وتتجسد من خلال الاتجاهات أو الاهتمامات أو السلوك اللفظي أو العلمي بصورة مباشرة وغير مباشرة⁽²⁾.

وعلى هذا الأساس نجد أن علم القيم في هويتنا اللغوية و الإسلامية، يعني الفضائل والآداب المستخرجة من أخلاقيات القرآن الكريم، وسنة النبي صلى الله عليه وسلم، وتراث الأمة الإسلامية، والتي عبر عنها الدارسون المسلمون بمصطلحات مختلفة ومتنوعة، تارة باسم المبادئ أو الأسس، وتارة باسم المقومات أو الثوابت، وأخرى باسم الإسلام أو العقيدة...⁽³⁾. وإن كان مصطلح الفضيلة والآداب العامة هو المصطلح المشهور الذي استخدمه الدارسون للدلالة على موضوع القيم.

كما ينظر المفهوم الإسلامي إلى القيم على أنها عملية تفضيل تقوم على الاستقامة والاعتدال، وتنطلق أساساً من مصادر أحكام الشريعة الإسلامية، ومعاييرها ومبادئها، وهي تحدد المرغوب فيه حالاً وتأمراً به، والمرغوب عنه حراماً خبيثاً وتنتهى

الملك فهد الوطنية، الرياض، ط1، 1417هـ، ص14.

(1) - علم النفس الاجتماعي، حامد زهران، عالم الكتب، القاهرة، ط5، 1984، ص132.

(2) - القيم الإسلامية والتربية، علي خليل مصطفى أبو العينين، مكتبة إبراهيم حليبي، المدينة المنورة، ط1، 1408هـ/ 1988م، ص10.

(3) - المنهج القرآني في تربية القيم الأخلاقية والاجتماعية، أحمد الزباخ، مطبعة بني ازناسن، سلا، ط1، 2004م، ص27.

عنه. وتعمل كدوافع أو مثيرات لسلوك الفرد والمجتمع نحو خلق الشخصية السوية المتكاملة وتنميتها، وذلك بما يكفل للإنسان السعادة الأبدية⁽¹⁾.

ويتبين من خلال ما سبق تعدد تعريفات القيم إلا أن التعريف الجامع الذي يمكن الأخذ به هو أنها مجموع الصفات السلوكية العقائدية والأخلاقية، التي توجه السلوك، وهي التي تصنع نسيج الشخصية، وتبنى على تصور محدد للكون والخالق، وللإنسان والعقل والعلم والمعرفة. وأنها تأثرت بالمنهج القرآني، وبمبادئه ومثله، وقد ذكرت تحت مسميات مختلفة، مثل: المبادئ، الأخلاق، والفضائل...

الفرع الثاني: مصادر القيم

تنحصر مصادر القيم في مصدرين اثنين:

- مصدر علوي وردت قيمه على الإنسان عن طريق الشرائع السماوية ومنها الإسلام.

- ومصدر بشري يبدع قيمه رواد من المفكرين والفاعلين في حقول السياسة والاقتصاد والاجتماع والتربية، وتزكيها الشعوب تارة وترفضها تارة أخرى.

وتلتقي قيم المصدرين في أغلب القيم المعروفة، ولكن المصدرين يختلفان في المعيارية والمصادقية: فمعيارية القيم في الشرائع السماوية، وخاصة منها القيم المتعلقة بطبيعة الإنسان الأصلية والثابتة مبنية على ما وضعه الله في الإنسان من مؤهلات بدنية ونفسية وفطرية، وحيث يستحيل في حق المصدر الإلهي الخطأ أو العبث، فإن مصداقيته قطعية الثبوت.

أما المعيار البشري للقيم فهو نسبي بطبيعته قابل للصواب والخطأ، قد يتخلله أحيانا الهوى أو التقدير الخاطئ أو النظرة الضيقة أو المصالح الخاصة كما قد تعثره النفعية والنزاعات الأنانية والغرائز الذاتية الفردية أو الجماعية، لذلك يتسم المعيار

(1)- المدخل إلى علم الاجتماع، فاروق العادلي، مطبعة دار زهران، جدة، ط1، 1413هـ/1992م، ص154.

البشري بالتغير والتقلب مما يجعل مصداقيته نسبية فقط" (1).

وقد صنف محمد تقي المدرسي الفضائل والقيم الإسلامية إلى خمسة أصناف، انطلاقاً من تصنيفاته العملية للأخلاق في كتابه المجتمع الإسلامي منطلقاته وأهدافه: الأخلاق الفردية: وتشمل القيم التالية: الاستقامة، العفة، كظم الغيظ، الصدق، الأمانة، التواضع، البخل، الإسراف.

الأخلاق الأسرية: وتتمثل في تلك القيم التي تربط الآباء بالأبناء، والأزواج والأقارب والأرحام. وهي: طاعة الوالدين، الإحسان إليهما، شكرهما، مصاحبتهما بالمعروف، المودة، الإنفاق.

الأخلاق الاجتماعية: وتشمل القيم التالية: تحريم الغش والظلم، وجوب الوفاء بالعهد، العفو والإحسان والكرم، تحريم الاعتداء على الأنفس.

الأخلاق الإسلامية: وتشمل الفضائل التالية: طاعة الله وشكره، التوكل على الله، الخوف من سطوة الله، الأمل في رحمة الله، التوبة من الذنب.

أخلاق الدولة: وتشمل القيم والفضائل التي تربط الحاكم بالمحكوم، مثل: العدالة، الحرية، المساواة، إقرار النظام، صون الأموال، التشاور، الدفاع، مساعدة المستضعفين، وحدة الكلمة، الرقابة والوفاء بالعهد (2).

ومن هنا يتبين أن الأخلاق هي القاعدة الأساسية لبناء المجتمع، حيث تبنى على أساسها جميع الأحكام والقوانين المختلفة، كما أنها هي الأساس التي تقوم عليها الشريعة الإسلامية، وهذا الأمر يجعلها هي الأساس لصلاح المجتمع، كما أنها من الأساسيات التي تحمي المجتمع من الانهيار، كما أنه وتزيد من ألفتة وتماسكه وتعاونه، وترابطه الاجتماعي الذي هو أسمى الغايات.

(1) - مدونة القيم في القرآن والسنة، محمد بالبشير الحسني، مطبعة طوب بريس، الرباط، ط1، 2008م، ص24.

(2) - المجتمع الإسلامي، منطلقاته وأهدافه، محمد تقي المدرسي، دار الجبل، بيروت، ط1، 1982م، ص66.

فالهدف من القيم الفاضلة يتمثل في: "إعداد الإنسان إلى ممارسة المصالح وتوزيع الأعمال، على نمط يكفل التساوي بين الأفراد في الحقوق والواجبات، كما يطلق مفهوم الأخلاق على أعمال الإنسان وسلوكه الإرادي الذي يتحلّى في تلك القيم والفضائل الأخلاقية ومضاداتها من الرذائل، مثل الصدق والكذب، والمحبة والكراهية، البخل والكرم، الإخاء والحقد، الإيثار والأنانية، الرأفة والتعنت، البر والتسلط، الأمانة والخيانة... فكل هاته الصفات والأعمال دليل على السلوك الأخلاقي للإنسان"⁽¹⁾؛ ذلك أن الفطرة البشرية إذا جبلت على شيء وتطبع عليه أصاب منها ما شاء سواء كان خلقا حسنا أو سيئا.

والملاحظ أن المجتمع العالمي والعربي والإسلامي يعاني من التّفكُّك والتّصدُّع في بنائه المعياري القيمي، واهتزاز نسق القيم الخلقية لديه، واضطراب في بنيتها التربوية، من هنا تأتي أهمية البحث في القيم الأخلاقية الإسلامية، لأنه بحث عن الذات العربية الإسلامية في غير انغلاق، لبنائها بناء ذاتيا متميزا، كي تكون قادرة على العطاء والإبداع، في عصر غدت فيه كل المجتمعات تعمل على تأكيد شخصيتها.

وهو ما نسعى إليه من خلال الوقوف على منظومة القيم في القرآن الكريم واستنباط أنواعها وخصائصها، وإبراز دور القيم الإسلامية في إعطاء صورة للمجتمع المسلم، وتكوين شخصية الفرد المسلم وملاحظتها المتميزة، وبيان فعاليتها في صياغة الحياة وأهدافها في ظل التقدم العلمي والتقني المعاصر.

وإزاء هذا فإنه لا بد أن ندرك أهمية وجود منظومة من القيم المتميزة بالتعدد والمرونة، والخاضعة للتغير المضبوط، في ظل التقدم العلمي والتقني المذهل، الذي غدا يمس كل مكون من مكونات حياة الإنسان، وبالرغم من مساهماته فإنه لم يستطع أن يحل مشكلات حياة الإنسان المعاصرة، لأننا نرى اضطرابات اجتماعية واقتصادية وسياسية، هذا إلى جانب تفاقم مشكلات العمل، والصراع بين الفقراء والأغنياء، وجدة المناوشات العالمية بين القوى المختلفة، وكذلك المنازعات المحلية، إلى جانب

(1)- المنهج القرآني في تربية القيم الأخلاقية والاجتماعية، أحمد الزباخ، ص 50.

مشكلات أخرى كثيرة"⁽¹⁾. فالقيم هي الأساس لبناء مجتمع متميز، لأن فقدان التربية على القيم التي تبنى عليها شخصية الإنسان، يفقد المجتمع جوهره وروحه، ويجعله يعاني من قصور في تأكيد ذاته وهويته الثقافية.

نجد أن المنهج القرآني يربي المؤمن على القيم الأخلاقية والاجتماعية، من خلال الممارسة العملية للعبادات بصفة عامة ومنها عبادة الإنفاق والصدقة، التي يتجلى لها هذا الأثر الازدواجي، الذي يستهدف به الباري تطهير النفس أخلاقيا، من خلال تنقيتها من شوائب الحرص الشديد على جمع المال، وإبعاد رذائل البخل، والشح، والطمع، كما يعزز المنهج القرآني من خلال الزكاة قيم التكافل، ومؤازرة الفقراء ومواساتهم، وسد حاجة المعوزين والبؤساء، والمحرومين اجتماعيا، ومن تم العمل على تقوية المجتمع وتثبيته واستقراره، لتسود به قيم: التضحية والإخلاص والمناصرة والعفة والإيثار... وهذه القيم كفيلة بإزاحة كل الرذائل التي تعشعش داخل المجتمع الذي تتفاوت فيه الطبقة بين أفرادها"⁽²⁾.

فتكون هذه الروابط الاجتماعية القوية، سببا في تشارك أفراد المجتمع المسلم بعضهم بعضا في أفراحهم وأحزانهم، واستشعار كل واحد منهم أن لكل فرد في هذا المجتمع حقا عليه، فينعكس ذلك على تقوية أواصر المجتمع ويصونه من التشتت، وينمي فيه القيم التربوية الأخلاقية التضامنية، مما يحقق الاطمئنان والسكينة.

الفرع الثالث: ترابط القيم الأخلاقية والاجتماعية في المنهج القرآني

إن موضوع التربية على القيم الأخلاقية والاجتماعية في ضوء القرآن الكريم يشكل مدخلا مهما، يمكن من خلاله رصد واقع المسلمين، وتوجهاتهم الحضارية لتحديد الأولويات، وضبط السلوكات، واختيار التصورات، لأن معاني القيمة في القرآن تشكل مرجعية شرعية أساسية ومعيارية، بفضلها يصبح المسلم كيانا متميزا في مجالات الحياة المتعددة، ولن يتحقق لأمة الإسلام العزة والكرامة، والأمن والسيادة

(1)- القيم الإسلامية والتربية، علي خليل مصطفى أبو العينين، ص 10.

(2)- المنهج القرآني في تربية القيم الأخلاقية والاجتماعية، أحمد الزباخ، ص 264-265.

إلا بتطبيق شرع الله على عباده، والحكم بينهم بما أنزل الله، وبند ما خالف ذلك من قوانين وضعية، ونُظُم بشرية، مخالفة لشرع الله القويم، وغرس القيم الفاضلة التي تؤسس السعادة في الدنيا والآخرة.

وانطلاقاً من تحديد مفهوم القيمة في المجتمع الإسلامي، نجد أن القيم الأخلاقية لا انفصام بينها وبين القيم الاجتماعية في المنهج القرآني، وبالتالي فإن العقيدة والأخلاق صنوان لا انفصالان في هذا المنهج، ضمن المعيار المحدد للسلوك الإنساني في الإطار الاجتماعي من منطلق القرآن الكريم، والسنة النبوية، اللذان يحددان مجموعة من القيم الاجتماعية⁽¹⁾.

كما نجد أن "القيم المستنبطة من القرآن حولت الأخلاق من كونها علماً فلسفياً مرتبطاً بالانفعالات النفسية للإنسان إلى قيم اجتماعية مرتبطة بمروءة الإنسان بعد أن أسقطت عليها حكم الخيرية أو الشرية، معتمدة الخيرية ونافية الشرية ليكون التعبير عنها بمكارم الأخلاق. وقد استمدت القيم القرآنية تلك المكارم الراقية السامية من الديانات السابقة"⁽²⁾، "لأن تاريخ الحضارة البشرية حافل بالشرائع الأخلاقية والمعايير الاجتماعية المتباينة، إلا أن الدراسات الحديثة قد كشفت عن وجود تقارب كبير بين هذه الشرائع."⁽³⁾ ثم جاء الإسلام متمماً لها، وسائراً على نهجها، وهذب بعضها، وذلك بعد أن تشرذمت وتفرقت وأهملت بين الأمم والحضارات."⁽⁴⁾ ويؤكد ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ»⁽⁵⁾. وقيل: لأنه

(1) - المنهج القرآني في تربية القيم الأخلاقية والاجتماعية، أحمد الزباخ، ص 135.

(2) - منظومة القيم القرآنية في المجال الكلامي والأخلاقي، أحمد بن سعود السيبي، ص 16-17.

(3) - تطور الفكر الأخلاقي في الفلسفة الغربية، محمد مهران رشوان، دار قباء للطباعة والتوزيع، القاهرة، 1998م، ص 32.

(4) - الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، ضبطه محمد إبراهيم الحفناوي، خرج أحاديثه محمود حامد عثمان، دار الحديث، القاهرة، 1428هـ/2007م، 18/227.

(5) - أخرجه الإمام أحمد في مسنده، مسند المكثرين من الصحابة، مسند أبي هريرة رضي الله عنه، حديث رقم 8729.

امثل تأديب الله تعالى إياه" (1).

وهذا يدل على أن التشريع الإسلامي جاء كاملا شاملا لكل جوانب الحياة الدنيا والآخرة، وجاء أيضا مكملا ومتمما لما خلت منه الرسائل السابقة، كطغيان المادية في اليهودية، وطغيان الروحية في المسيحية، وتعادل الجانبين في توازن واعتدال في الإسلام، (2) حيث أعطى كلا منهما ما يستحقه من الرعاية والعناية، فهو يدعو الإنسان إلى العمل والكسب في الدنيا، كما يدعو في الوقت نفسه إلى العمل لطلب الآخرة، قال تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: 77].

وقد اقتضت شريعة الله - عز وجل - نظاما اجتماعيا متكاملا يشمل كل الجوانب الإنسانية: الروحية، والمادية، والوجدانية النفسية، والعقلية، والأخلاقية لتسير الحياة على أكمل وجه، ويتحمل فيها الإنسان مسؤولية أمانة الاستخلاف التي أنيطت به، ويحقق الفعل الحضاري، ويبرز الشهود الحضاري لهذه الأمة على سائر الأمم، قال تعالى: ﴿وَالِئِنْ تَمُودُ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾ [هود: 60].

فمن المعاني التي فسر بها لفظ "استعمركم" خلقكم لعبارتها (3)، وجعلكم عمارها (4)، واتخذكم عمارا (5)، وأهلمكم عمارتها من الحرث والغرس وحفر الأنهار

- (1) - الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، 227/18.
- (2) - التصوير القرآني للقيم الخلقية والتشريعية، علي علي صبح، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، د.ت، ص 266.
- (3) - أحكام القرآن، أبي بكر بن العربي المعافري، 495/4.
- (4) - الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، 55/9.
- (5) - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبد الحق بن عطية، 438/3.

وغيرها⁽¹⁾، وأقدركم على عمارتها لاستثمار ما فيها، وهياكم للاستفادة بها عليها وفيها وحولها من منافع وخيرات⁽²⁾.

وإن رسالة العمار لا تنهض إلا بالتعاون بين الناس جميعا، لذلك جعل الله النفس الإنسانية تميل إلى الاجتماع، و"الإنسان بحكم هذه النزعة لا يستطيع أن يعيش بمفرده ولا يستطيع الحياة منفصلا عن المجتمع البشري الذي يعيش في محيطه، ولا عن الحياة والأحداث الجارية بل تجده يسعى على الدوام إلى الاندماج في حياة مجتمعه، وإلى بناء علاقات مختلفة مع أفراد وجماعته، وإلى التفاعل مع حياة وثقافة مجتمعه، وإلى التعاون مع أفراد في تحصيل معاشه"⁽³⁾.

فالإنسان لا يمكنه أن يفي بكل حاجاته منفردا، من مأكل وملبس ومسكن وتعلم وعمل وعلاج بل واستمرار جنسه إلا بالعيش في مجموعة بشرية، كما يوضح ذلك ابن خلدون (ت808هـ): "الاجتماع الإنساني ضروري ويعبر الحكماء عن هذا بقولهم الإنسان مدني بالطبع، أي لا بد له من الاجتماع الذي هو المدنية في اصطلاحهم وهو معنى العمران، ويبانه أن الله سبحانه خلق الإنسان وركبه على صورة لا يصح حياتها وبقاؤها إلا بالغذاء وهده إلى التماسه بفطرته، وبما ركب فيه من القدرة على تحصيله إلا أن قدرة الواحد من البشر قاصرة عن تحصيل حاجته من ذلك الغذاء... ويستحيل أن تفي بذلك كُله أو بَعْضُهُ قُدْرَةُ الواحد، فلا بد من اجتماع القُدَرِ الكثيرة من أبناء جِنْسِهِ ليحصل القوتُ له ولهم فيحصل بالتعاون"⁽⁴⁾.

وإن خاصية النزعة إلى الاجتماع أو إلى العمران التي أشار إليها المؤرخ الاجتماعي

(1) - البحر المحيط، أبي حيان الأندلسي، 239/5.

(2) - الفعل الحضاري في القرآن الكريم، محمد زرمان، دار الكتاب الثقافي، 1430هـ/2009م، ص20.

(3) - مفهوم الإنسان في الفكر الإسلامي، عمر التومي الشيباني، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، 1987م، ص165-166.

(4) - مقدمة ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن ابن خلدون الحضرمي، دار القلم، بيروت - لبنان، ط4، 1981م، ص41-42.

ابن خلدون تعتبر من أهم الخصائص التي اختص الله بها الإنسان دون غيره من المخلوقات، "لأنه خلق خلقة لا قوام له إلا بإنس بعضهم ببعض، ولهذا قيل الإنسان مدني بالطبع، من حيث لا قوام لبعضهم إلا ببعض، ولا يمكنه أن يقوم بجميع أسبابه، وقيل سمي بذلك لأنه لا يأنس بكل ما يألفه"⁽¹⁾. ويبدو أن هذه الخاصية الاجتماعية هي السمة الغالبة في تفسير ابن عاشور حيث نجده يؤصل لعلم الاجتماع البشري في مباحث تفسيرية كثيرة، إلى جانب ثلة من علماء الغرب الإسلامي.

لقد أفرد القرآن الكريم للمسألة الحضارية حيزا مهما من خلال عرض تاريخ الأقاليم والشعوب التي عمرت الأرض وأسست الحضارات، والمآلات التي انتهت إليها التجمعات البشرية التي خالفت منهج خالقها، وأرشد إلى أن فقه هذه السنن الحضارية وتسخيرها تمثل الثوابت التي تتحكم في قيام الحضارات، وأن كل إغفال وانفصال عن السنن الإلهية سيؤدي لا محالة إلى إرباك حركة الإنسان الحضارية، وإلى انحرافها عن المسار التي خلقت من أجله، الأمر الذي يفضي حتما إلى الإفساد في الأرض.

لذلك اتجه كتاب الله -عز وجل- بجملة من الأوامر والنواهي ذات الصبغة الأخلاقية إلى مختلف الأفراد، سعيًا منه في إصلاح أخلاق الأفراد، والارتقاء بالروح الإنسانية وتنقيتها مما يشوبها ويعكر صفوها، والسمو بها عن صفائر الأمور، وتحمل أمانة عمارة الأرض على نحو ما يقرره المنهج الإلهي، فخطبهم بها فردا فردا، "وهذه الأوامر والنواهي تتعلق بالكليات الضرورية التي تتوقف حياة المجتمع الإسلامي عليها كل التوقف، وبدونها يتعذر العمران، ويفشو الانحلال، ويضيع الأمن ويفسد النظام"⁽²⁾، فالله سبحانه وتعالى عليم خبير بأحوال العباد، يعلم ما يُحقّق لهم السعادة وما يجلب لهم الشقاء، لذلك جاءت الشريعة الإسلامية، بأحكام أخلاقية زجرية على شكل أوامر ونواه، كما يؤكد ذلك الإمام ابن حزم (ت456هـ): "الأخلاق الإسلامية

(1)- المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، مادة (إنس)، ص94.

(2)- التيسير في أحاديث التفسير، الشيخ محمد المكي الناصري، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، ط1، 1405هـ/1985م، 390/3.

تقوم على مجموعة من الأوامر والنواهي التي تتضمنها الشريعة الإسلامية. ⁽¹⁾

فقد جاء القرآن الكريم بما يتوافق ويتلاءم مع فطرة الإنسان التي فطره الله - عز وجل - عليها، يوازن بين متطلبات الروح والجسد، ويبين الخير وكل خلق مفضل إليه ويوضح الشر وينهى عن كل خلق موصل إليه، فجاء بذلك يراعي مصلحة الفرد في تناسق وشمول بديع مع مصلحة المجتمع، يقول ابن حزم معبرا عن ذلك: "فكما أنه مصدر للأحكام الشرعية فهو مصدر لمكارم الأخلاق، حيث يبين الخير والشر، ويبين الفضيلة والريضة والسبل التي تفضي إلى كل منها، كما يبين العواقب المترتبة على ذلك." ⁽²⁾ قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة: 2].

ونظرا لأهمية تهذيب النفس وتربيتها على القيم الفاضلة في الإسلام، وكونها وسيلة ربط بين أفراد المجتمع الإسلامي، وما فيها من أرفع أنواع التعاون والتكافل بين المسلمين، والترابط فيما بينهم، فإن القرآن الكريم أولى اهتماما كبيرا لمنهج الارتقاء بالجانب الروحي والسلوكي، باعتباره منهج بناء المجتمع المسلم، وقد بين ذلك الدكتور محمد زرمان في كتابه الفعل الحضاري في القرآن الكريم قائلا: "ولعل أبرز ما ثمره حركة الترقى الروحي والخلقي التي يارسها الإنسان وفق قيم الوحي؛ الارتقاء بالحياة الاجتماعية إلى أعلى مستويات التوافق والانسجام، والقوة والتماسك، والاندماج، والعطاء المثمر، من هنا اكتست عملية الترقى الروحي والخلقي أهمية قصوى في توجيه الفعل الحضاري وإثرائه، وبسبب ذلك أولاه الوحي عناية خاصة، وعده هدفا أساسيا وأصيلا من أهداف الفعل الحضاري، وبعدا قويا من أبعاده" ⁽³⁾.

(1)- ابن حزم وموقفه من الفلسفة والمنطق والأخلاق، وديع واصف مصطفى، منشورات المجمع الثقافي، 1421هـ، 2000م، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، ص 303.

(2)- ابن حزم وموقفه من الفلسفة والمنطق والأخلاق، وديع واصف مصطفى، ص 301.

(3)- الفعل الحضاري في القرآن الكريم، محمد زرمان، دار الكتاب الثقافي، 1430هـ/2009م، ص 19.

فقد تنبه لأهمية منظومة القيم العليا التي لها فعل في أنماط السلوك الاجتماعي العامة، وفي قيام الحضارة الإنسانية الكثير من المفسرين القدامى كابن عطية، والقرطبي، وأبي بكر ابن العربي، الذين ذكروا العديد من "القيم الأخلاقية التي تتناول السلوك الاجتماعي مثل الصدق، الحلم، الأمانة، العفة، التسامح، العفو، التواضع، الوفاء"⁽¹⁾ في تفاسيرهم، لكن سرعان ما تطور الأمر عند المحدثين كالشيخ الطاهر بن عاشور، والمكي الناصري، وابن باديس، الذين أخذوا يفسرون الآية القرآنية ويستنبطون منها إشارات اجتماعية قوية، فأخذت تفاسيرهم طابعا أخلاقيا واجتماعيا، مكّن الدارسين للعلوم الاجتماعية الرجوع إليها والاستفادة منها، باعتبارها تراثا للأمم الإسلامية، يكشف اللثام عما في القرآن من أسرار وكنوز صالحة للإنسانية كلها.

(1)- الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، سوريا، ط4، 1417هـ / 1996م، 56/1.

المحور الثاني: القيم الأخلاقية في الإسلام وأثرها في إصلاح الفرد والمجتمع

الفرع الأول: مفهوم الأخلاق لغة واصطلاحاً

أولاً: معنى الأخلاق في اللغة

الأخلاق جمع خُلُق، والخُلُق - بضم اللام وسكونها - هو الدين والطبع والسجية والمروءة. وحقيقته أنه صورة الإنسان الباطنة وهي نفسه وأوصافها ومعانيها المختصة بها بمنزلة الخُلُق لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها. وقد جاءت كلمة أخلاق في كتب اللغة يراد بها: الطبع والسجية، والمروءة والدين وهي مأخوذة من مادة (خ ل ق) التي تدل على تقدير الشيء.

يقول ابن فارس (ت395هـ): ومن هذا المعنى "أي تقدير الشيء" الخُلُق، وهي السَّجِيَّة، لأن صاحبه قد قدر عليه. وَقُلَانُ خَلِيقٌ بكذا، وَأَخْلَقَ بِهِ، أَيَّ مَا أَخْلَقَهُ، أي هو ممن يقدر فيه ذلك. وَالْخُلَاقُ: النصيب؛ لِأَنَّهُ قَدْ قُدِّرَ لكل أحد نصيبه. ⁽¹⁾

ثانياً: معنى الأخلاق في الاصطلاح

عرف العلماء الأخلاق بتعريفات كثيرة لا يتسع المجال لذكرها لكن أغلبها تتفق في كونها عبارة عن مجموعة المبادئ والقواعد المنظمة للسلوك الإنساني، لكنهم اختلفوا في مسألة التأصيل لها، فمنهم من أرجعها إلى دوافع طبيعية غريزية بحتة، ومنهم من أخضعها لقوانين ومبادئ وشرائع مجتمعية، ومنهم من أرجعها إلى الدين، لتنظيم حياة الإنسان، وتحديد علاقته بغيره على نحو يحقق الغاية من وجوده في هذا العالم على أكمل وجه ومن تلك التعريفات:

قال الجاحظ (ت255هـ): "إن الخُلُق هو حال النفس، بها يفعل الإنسان أفعاله بلا روية ولا اختيار. والخُلُق قد يكون في بعض الناس غريزة وطبعاً، وفي بعضهم لا يكون إلا بالرياضة والاجتهاد، كالسخاء قد يوجد في كثير من الناس من غير رياضة

(1) - معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، مادة خ-ل-ق، 214/2.

ولا تعمل، وكالشجاعة والحلم والعفة والعدل وغيرها من الأخلاق المحمودة⁽¹⁾.

أما الإمام ابن قيم الجوزية فقد أفرد فصلاً كاملاً للأخلاق في كتابه الفوائد، ولم يضع لها تعريفاً محدداً، وإنما عرفها بالمثل، وقسمها إلى قسمين هما:

القسم لأول: الأخلاق المذمومة.

القسم الثاني: الأخلاق الفاضلة.

وأرجع كلا القسمين إلى أصوله فقال: أصل الأخلاق المذمومة كلها الكبر والمهانة والدناءة، وأصل الأخلاق المحمودة كلها الخشوع وعلو الهمة... وأما الأخلاق الفاضلة كالصبر والشجاعة والعدل والمروءة والعفة والصيانة والجود والحلم والعفو والصفح والإحتيال والإيثار وعزة النفس عن الدنات والتواضع والقناعة والصدق والأخلاق والمكافأة على الإحسان بمثله أو أفضل والتغافل عن زلات الناس وترك الانشغال بما لا يعنيه وسلامة القلب من تلك الأخلاق المذمومة ونحو ذلك، فكلها ناشئة عن الخشوع وعلو الهمة⁽²⁾. ثم أشار - رحمه الله - إلى أن للأخلاق حداً متى جاوزته صارت عدواناً ومتى قصرت عنه كان نقصاً ومهانة... فعلى سبيل المثال للشجاعة حد إذا جاوزته صارت تهوراً، ومتى نقصت عنه صارت جُبناً وخوراً⁽³⁾.

فالأخلاق هي القوى والسجايا النفسية الراسخة، التي تصدر عنها أنماط السلوك الإنساني الخارجي، من خلال إرادة حرة، وهي تمثل الصورة الباطنية للإنسان، ما أن الخلق يمثل الصورة الظاهرة وكلاهما يكون حسناً أو قبيحاً. والأصل في الخلق أن يكون اختيارياً يكسب بالتحليق والجهد والمثابرة على التزام جانب التسامي، ولذلك يمدح به الإنسان أو يذم وثاب عليه أو يعاقب، بخلاف الخلق فهو فطرة مقسومة

(1) - تهذيب الأخلاق، الجاحظ، قرأه وعلق عليه أبو حذيفة إبراهيم بن محمد، دار الصحابة للتراث، 1410هـ / 1989م، ص14.

(2) - الفوائد، لابن قيم الجوزية (ت751هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، ط2، 1393هـ / 1973م، 1/143.

(3) - المرجع نفسه، ص140-139.

محدودة، لا مدخل لأحد فيها ولا اختيار، ولا يتعلق بها لذاتها مدح أو ذم، ولا يترتب عليها ثواب أو عقاب" (1).

الفرع الثاني: أهمية الأخلاق في الحياة الاجتماعية

للأخلاق أهمية بالغة في حياة المجتمع، فهي الدعامة الأولى لبناء المجتمع المتناسك الركين، وصالح أي مجتمع أو فساد مرتبط بصالح الأخلاق أو فسادها" (2). وتشكل الأخلاق ضابطاً اجتماعياً له تأثيره القوي على سلوك الأفراد وتماسك المجتمعات واستقرارها" (3).

لا يستطيع أي مجتمع من المجتمعات أن يعيش أفراد متفاهمين متعاونين سعداء، ما لم تربط بينهم روابط متينة من الأخلاق الكريمة، فمكارم الأخلاق ضرورة اجتماعية، ومتى فقدت الأخلاق التي هي الوسيط الذي لا بد منه لانسجام الإنسان مع أخيه الإنسان، تفكك أفراد المجتمع وتصارعوا وتناهبوا، ثم أدى بهم ذلك إلى الانهيار والدمار" (4)، ولا شك أن كثرة الآيات القرآنية والأحاديث النبوية في موضوع الأخلاق يدل على أهميتها، فهي تتبوأ المنزلة السامية والدرجة الرفيعة من التشريع الإسلامي، ولقد شهد التاريخ على أن صلاح أي مجتمع أو فساد مرتبط بصالح الأخلاق وفسادها.

وقد شهد القرآن الكريم على أن فقدان الأخلاق الاجتماعية، وضياع القيم الفاضلة، وشيوع الرذيلة، كان سبباً في هلاك الأقوام السابقة ومن هنا تظهر أهمية العنصر الأخلاقي في تأثيره على السلوك المجتمعي، فصلاح المجتمع بصلاح الفرد،

(1) - المنهاج القرآني في التشريع، عبد الستار فتح الله سعيد، رسالة دكتوراه قدمت جامعة الأزهر كلية أصول الدين تخصص التفسير والحديث، مصر، ط1، 1413هـ/1992م، ص407.

(2) - منهج القرآن في إصلاح المجتمع، محمد السيد يوسف، دار السلام، بيروت، ط2، 1422هـ/2004م، ص569.

(3) - التداول الحضاري في القرآن الكريم، فرج أحمد الرفاعي سالم علام، دار روابط للنشر وتقنية المعلومات، مصر، ط1، 1437هـ/2016م، ص176.

(4) - الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني، 1/33-34.

وفساده بفساده، وإلى ذلك يشير قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود: 117].

ولما كانت الأخلاق الحسنة هي المطلوبة شرعا، وهي المرغوب فيها في السلوك الإنساني، نظرا لميل الإنسان بالطبيعة إلى القيمة الإيجابية⁽¹⁾، فقد تعود الناس على هذا السلوك، وطلبوه تدريبا وتربية، حتى اعتادت إرادتهم على قيم الأخلاق الفاضلة، وهو ما يستدعي تجسيد الأخلاق في هذه القيم الأخلاقية الرفيعة، التي هي عبارة عن المبادئ والقواعد المنظمة للسلوك الإنساني التي يحددها الوحي لتنظيم حياة الإنسان وتحديد علاقته بغيره، على نحو يحقق الغاية من وجوده في هذا العالم على أكمل وجه⁽²⁾.

لقد جاءت الشريعة الإسلامية لتنظيم شؤون العباد وتحقيق مصالحهم وفق قواعد وضوابط أخلاقية حددها الإسلام، وإن أعظم ما بنى عليه الإسلام دعوته إلى مكارم الأخلاق وتهذيبها، والعناية بتربية النفس وإكمالها وتدريبها على متابعة الهدى والإرشاد الذي يشهد العقل السليم بحقيقته وصلاحه ونفعه⁽³⁾. "وعلى هذا نجد أن العنصر الأخلاقي في المنهج القرآني ركيزة شاملة لكل السلوك البشري، فإذا عدنا إلى أوامر القرآن الكريم ونواهيه نجد أن الإيمان والعقيدة لا يتحققان إلا من خلال العمل بهما، باعتبارها أوامر صادرة من الله سبحانه، والأوامر الصادرة من الله - عز وجل - توجب الأسس الأخلاقية طاعتها، لا لكونها ظاهرة لأساس أخلاقي، ولكن باعتبار كونها طاعة لمن تجب طاعته⁽⁴⁾. لذلك فقد كان الإصلاح الأخلاقي أساسا من أسس بناء حضارة تقود إلى التمدن والرقى.

فالأخلاق تمثل ذلك السلوك العملي الذي تتحقق به إنسانية الإنسان، وتتم به

(1) - القيم الأخلاقية، عادل العوا، مطبعة جامعة دمشق، د.ت، ص 38.

(2) - التربية الأخلاقية الإسلامية، مقداد يالجن، ص 75.

(3) - أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، محمد الطاهر بن عاشور، دار السلام مصر، ط 2، 1431هـ/2010م، ص 120.

(4) - المنهج القرآني في تربية القيم الأخلاقية والاجتماعية، أحمد الزباخ، ص 35.

سعادة الناس في إطار التعاون والتآزر، وينعم فيه المجتمع بقيم التضامن والتكافل، مما يحفز الناس إلى الالتزام بها، وإذا فقدت الأخلاق لم تجر مصالح الدنيا على استقامة بل على فساد، ويلحق الناس الضيق والحرَج، فالأخلاق هي الأساس لبناء المجتمعات الإنسانية الإسلامية كانت أو غير إسلامية، ويقرر ذلك قوله تعالى: ﴿وَالْعَصْرُ (1) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (2) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ (3)﴾ [العصر: 1-3]، "فالعمل الصالح المدعم بالتواصي بالحق، والتواصي بالصبر في مواجهة المغريات والتحديات من شأنه أن يبنى مجتمعاً محصناً لا تنال منه عوامل التردّي والانحطاط، وليس ابتلاء الأمم والحضارات كامناً في ضعف إمكاناتها المادية أو منجزاتها العلمية، إنما في قيمتها الخلقية التي تسودها وتحلى بها"⁽¹⁾.

إن أهمية علم الأخلاق في الإسلام جعلت بعض المشتغلين بالعلوم الإسلامية ولا سيما علوم القرآن يركزون عليه، ويلفتون الانتباه إليه، وقد توجهت عناية أعلام التفسير إلى استقصاء الآيات ذات الحمولة الأخلاقية، وجمعها وتصنيفها، لإصلاح أوضاع الأمة تربوياً واجتماعياً وسياسياً وحضارياً.

فبالإضافة إلى ما ورد في تفاسيرهم من إشارات أخلاقية، نجد بعضهم أفرد كتباً خاصة للحديث عن الأخلاق كابن حيان الأندلسي صاحب كتاب "أخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم" وعنه يُخبرنا ابن خير الإشيلي (ت 575هـ): "كتاب أَخْلَاق رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِابْنِ حَيَّانٍ اخْتِصَارُ الشَّيْخِ الْإِمَامِ أَبِي بَكْرٍ مُحَمَّدَ بْنَ الْوَلِيدِ الْفَهْرِيِّ الطَّرُوشِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ، حَدَّثَنِي بِهِ الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ بْنُ الْعَرَبِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ أَخْبَرَنِي بِهِ شَيْخُنَا الْإِمَامُ أَبُو بَكْرٍ الطَّرُوشِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ بِهِ وَبِالأَصْلِ عَنْ أَبِي بَكْرٍ الْمُفِيدِ الْحَافِظِ الْمَعْرُوفِ بِابْنِ الْخَاصِبَةِ وَلَمْ يَزِدْ ابْنُ الْعَرَبِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَى هَذَا فِي سَنَدِ الْأَصْلِ". (2)، وقد بذل فيه غاية جهده في خدمة سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم

(1) - موسوعة الأخلاق الإسلامية، إعداد: مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ علوي بن عبد القادر السقاف، الناشر: موقع الدرر السنية على الإنترنت dorar.net، عدد الأجزاء: 3، تم تحميله في ربيع الأول 1433هـ، ص 5.

(2) - فهرسة ابن خير الإشيلي، أبو بكر محمد بن خير الأموي الإشيلي، المحقق: محمد فؤاد

والمساهمة في حفظها، وكذلك معرفة ما كان عليه النبي من الخلق الكريم وما كان متحلياً به من الشرائع، وبيان ذلك للناس للاهتداء بهديه والتخلق بأخلاقه والابتعاد عن ما كان بنوره، واستنباط الأحكام والمعاني الشرعية من سيرته، لإصلاح النفوس وتهذيبها وإصلاح تدين العباد، وإحداث انقلاب سريع في نفوس المؤمنين والمؤمنات.

إن المجتمع الإسلامي له أخلاقه التي تضبط وتحدد السلوك، بمعنى أن له بناءه المعياري، الذي ينبع في الأساس من المصدرين الأساسيين: القرآن والسنة المطهرة، فالقرآن بما أوتي من مكارم الأخلاق وتجسدت في شخص الرسول الكريم وترجمت في أقواله وأفعاله هو المصدر الأساسي المعتمد للقيم في المجتمع الإسلامي.⁽¹⁾ والأخلاق بذلك هي صورة المجتمع، ومقياس نهضته في سلم الرقي، لأنها تعد الضابط والمعيار الموجه الأساسي للسلوك الفردي والاجتماعي، بها تتحقق أفضل حياة للفرد والمجتمع، ويعد ترسيخها في واقع المجتمعات البشرية، الوسيلة الأمثل لتكوين الجيل الصالح، وصياغة الشخصية الإيجابية المؤثرة في المجتمع المسلم.

لقد اهتم الإسلام اهتماماً كبيراً بموضوع الأخلاق لأنها أمر لا بد منه لدوام الحياة الاجتماعية، بل جعلها جوهر الرسائل السماوية، فالأخلاق الفاضلة ضرورة ملحة لإقامة الحياة السعيدة في كل مجتمع، وعلى الأمة الإسلامية أن تقوم على الأسس الأخلاقية التي حددها القرآن وبينها النبي صلى الله عليه وسلم واستنبطها أهل التفسير، وإن إهمال الجانب الأخلاقي يؤذن بهلاك الأمة وتشتت أفرادها، وعلى الأمة الإسلامية أن تتدارك نفسها حتى لا تقع فيها وقع فيه غيرها، فيحق عليها العذاب.

الفرع الثالث: منهج القرآن في غرس القيم الأخلاقية

إن اهتمام المنهج القرآني بالجانب الأخلاقي يؤكد أن الأخلاق ركيزة أساسية في الإسلام، فهي "روح الرسالة الإسلامية، وأن النظام الإسلامي التشريعي يعد صورة

منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1419هـ/1998م، ص569.

(1) - موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، إعداد مجموعة من المختصين بإشراف صالح بن عبد الله إمام وخطيب الحرم المكي، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، ط1، جدة، 1418هـ/1998م، 1/156.

مجسمة لهذه الروح"⁽¹⁾، وهذا كله يبرز أن المنظومة الأخلاقية الإسلامية هي أكثر سعة وشمولا وتوغلا في كيان الإنسان، وهي أكثر ثراء واستيعابا من أي منظومة أخلاقية وضعية وأن الالتزام بها يعني التخلص والتدين والعبادة في آن واحد، وكل ذلك يجلب الرضا والاطمئنان"⁽²⁾، كما أنها تمثل الأسس الثابتة التي تبنى عليها عملية الإصلاح في جميع المجالات.

لذلك نجد الشريعة الإسلامية ألغت كل ما كان سيئا في المجتمع الجاهلي، وأخذت بمنهج الإصلاح القرآني، وتحلت قيم هذا المنهج بجلاء في المجتمعين المكي والمدني، فاعتادت نفوسهم على قيم الأخلاق الفاضلة، ولقد وصل المجتمع المسلم في صدره الأول قمة الكمال التي لا يمكن أن يصل إليها بشر، وفي ظله وتحت وطأته سعدت الأمة بالطمأنينة، والعدل والاستقرار، والسعادة، وأعزها بعد ذل، وعلمها بعد جهل، وجمعها بعد فرقة وحرب، وتأخت في ظله بعد عداوة وشحناء، وعلى هذا الأساس بني مجتمع فاضل تسوده المحبة، والإيثار، والمساواة... ثم تراجع المجتمع الإسلامي عن الريادة والزعامة لقيادة البشرية لما أعرض عن كتاب الله - عز وجل - وهديه، وما زال في هذا التراجع والانحدار حتى وصل وكاد أن يصل في هذا العصر إلى درجة قد تعيده إلى جاهليته الأولى أو أشد.

وكما أصلح القرآن الكريم المجتمع الذي نزل فيه وما بعده من المجتمعات المتجددة التي أخذت بهديه، فهو كفيل بأن يصلح المجتمعات المعاصرة، ويعالج القضايا المتجددة، ويحل مشكلات الحضارة الإنسانية، وسيظل المنهج القرآني على اختلاف الأزمان والأجيال الدواء لكل داء، والحل لكل مشكلة، والعصمة من كل ضلال⁽³⁾. ومن أنكر هذا فقد كذب التاريخ ونفى الواقع، وجحد نعمة الله - عز وجل - وتنكر لكلام مولاه حيث قال سبحانه في معرض تعظيم كتابه: ﴿نَزَّلْنَا عَلَيْكَ

(1) - علم الأخلاق الإسلامية، مقداد يالجن محمد علي، دار عالم الكتب للطباعة والنشر، الرياض، ط2، 1424هـ/ 2003م، ص53.

(2) - مقاربات في المسألة الأخلاقية، مصطفى بن حمزة، مطبعة الأمانة، الرباط، 2019م، ص103.

(3) - منهج القرآن في إصلاح المجتمع، محمد السيد يوسف، ص20، بتصرف.

الْكِتَابَ تَبَيَّنَا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهْدَى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ [النحل: 89]، ومن أوصاف الكتاب الذي هو موضوع البيان أنه: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: 9]، وأنه أيضا: ﴿شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: 82]، وفي الآية دليل على أن في القرآن آيات يشتفى بها، فهو المنهج الوحيد الكفيل بإنقاذ الأمة الإسلامية من كل المآزق التي وقعت فيها، وإخراجها من الظلمات التي أحاطت بها من كل جانب، قال الطاهر ابن عاشور في تفسيره لهذه الآية: "أن القرآن كله شفاء ورحمة للمؤمنين ويزيد خسارة للكافرين، لأن كل آية من القرآن من أمره ونهيهِ ومواعظه وقصصه وأمثاله ووعدته ووعيدته، كل آية من ذلك مشتملة على هديٍّ وصلاحٍ حالٍ للمؤمنين المتبعين، ومشتملة بضد ذلك على ما يزيد غيظ المستمرين على الظلم" (1).

فلقد احتوى القرآن الكريم على صورة متكاملة المجتمع الفاضل وذلك بما حواه من سياسة الإصلاح لكل مناحي الحياة، فهو منهج أبدي يناسب كل الظروف، غير محدود بزمان ولا بمكان وإنما هو منهج لكل البشر في كل الأرض حتى يرث الله -عز وجل- الأرض ومن عليها.

فالمنهج القرآني يستهدف تثبيت أسس القيم الأخلاقية في السلوك البشري انطلاقاً من مجموعة من القواعد والضوابط التي حددها الإسلام والمتجلية في الأوامر والنواهي المبنية في آي القرآن، والتي تعتبر مصدراً لأحكام الشريعة ولمكارم الأخلاق، فجاء يبين الخير والشر، ويبين الفضيلة والرذيلة والسبل التي تفضي إلى كل منهما، كما يبين العواقب المترتبة على كل جنوح عنها، حيث ورد في القرآن الكريم من الفضائل والتعاليم الخلقية ووصايا الخير الكثير، ويبين ذلك ابن حزم الأندلسي بقوله: "فكما أن القرآن مصدر للأحكام الشرعية فهو مصدر لمكارم الأخلاق، حيث يبين الخير والشر، ويبين الفضيلة والرذيلة والسبل التي تفضي إلى كل منهما، كما يبين العواقب المترتبة على ذلك، وورد فيه من أصول الأخلاق والفضائل والتعاليم الخلقية، والوصايا الحكيمة الخير الكثير" (2).

(1) - التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، مج 7، 15/189-190.

(2) - ابن حزم وموقفه من الفلسفة والمنطق والأخلاق، وديع واصف مصطفى، ص 304.

ووضح ذلك قائلا: "الأخلاق الإسلامية تتميز عن تلك التي تبنتها الأديان الأخرى والفلسفات المختلفة في أن الأخلاق الإسلامية لم تكن غايتها اللذة- وإن لم تنكرها- ولا السعادة الدنيوية- وإن لم تنكر مشروعيتها- بل فردوس الآخرة بواسطة السلوك الخلقي القويم الذي يحقق المنفعة العامة الدنيوية مع الموازنة بين مطالب الروح ومطالب الجسد ونبذ الأنانية والتفرقة. ومن ثم لم يكن تأثير فلاسفة الإسلام بالفكر اليوناني يبطل توفر المسلمين على ينبوع الأخلاق والفضائل [القرآن والسنة النبوية الشريفة]"⁽¹⁾.

ولقد اهتم الإسلام بالأخلاق لأنها قاعدة أساسية لدوام الحياة الاجتماعية وتقدمها من الناحيتين المادية والمعنوية، فالإنسان بحاجة ماسة إلى نظام خلقي يحقق للمجتمع حاجته الاجتماعية، ويحول دون تفككه وانهيائه، لذلك جعل النظام الاجتماعي الإسلامي مصدرا يرجع إليه في الحكم الأخلاقي كي لا تتحكم فيها الأهواء والشهوات والعادات والتقاليد، وجعل مقياسا تقاس به الأخلاق، ولم يهمل النظام الاجتماعي الإسلامي الأخلاق بل ميزها عما سواها، وميز السلوك الأخلاقي عن سائر أنواع السلوك الإنساني، ولم يدخل في مفردات الأخلاق ما ليس منها، وجعل لها عاصم يردعها ويرجعها إلى الصواب، وهذا العاصم هو القرآن الحكيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

وقد بين القرآن مكارم الأخلاق ومنافعها، ومساوئ الأخلاق ومضارها، وبين السبيل للتخلي عن هذه، والتحلي بتلك، مما يحصل به الفلاح بتزكية النفس، والسلامة من الخيبة بتدسيته، وبذلك يكون الإسلام قد "كفى المسلم مؤنة البحث والاستنباط، فقد فصل الأخلاق بنوعيتها، وما على المسلم إلا أن يعرض نفسه على الأخلاق بنوعيتها، ليعرف موضعه منها، ثم يعمل جاهدا، لتكون أخلاقه أخلاقا إسلامية حقا"⁽²⁾.

قال المفسر ابن باديس: "جاء القرآن مبينا للأخلاق الفاسدة، وذاكرا سوء أثرها،

(1)- ابن حزم وموقفه من الفلسفة والمنطق والأخلاق، وديع واصف مصطفى، ص 311-312.

(2)- أصول الدعوة، عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، ط 9، 2002م، ص 90.

وقبح مغبتها، مبينا كذلك الأخلاق الصحيحة، وعظيم نفعها وحسن عاقبتها، فهذا شفاؤه للنفوس والعقول، وهو راجع إلى تصحيح العقائد، وتقويم الأخلاق، وبهما سلامة الأرواح وكمالها، وعليها قوام الهيئة الاجتماعية وانتظامها⁽¹⁾. قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (7) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (8) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (9)﴾ [الشمس: 7-10]. وقد ذكر الطاهر بن عاشور أصل الزكاة الواردة في الآية كما في قوله تعالى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 150] فقال شارحا أصل الزكاة: "إنها اسم مصدر زكى المشدد، إذا طهر النفس من المذمات"⁽²⁾. ومنها التزكية وهي "تطهير النفس مشتقة وهي من الزكاة أي النماء، وذلك لأن في أصل خلقه النفوس كمالات وطهارات تعترضها أرجاس ناشئة عن ضلال أو تضليل، فهذه النفوس وتقويتها يزيدها من ذلك الخير المودع فيها"⁽³⁾، ثم استشهد بحديث النبي صلى الله عليه وسلم: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ»⁽⁴⁾.

ويرى الشيخ الإمام محمد الطاهر ابن عاشور في تفسيره أن تزكية النفس هي بذل العبد استطاعته في تطهير نفسه وتزكيتها، لأن في ذلك تحقيق الفلاح للمؤمنين وخيبة للمشركين، وفي هذا المعنى يقول: "أفلح من زكى نفسه واتبع ما ألهمه الله من التقوى، وخاب من اختار الفجور بعد أن ألهم التمييز بين الأمرين بالإدراك والإرشاد الإلهي"⁽⁵⁾.

وقال القرطبي في قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ أي "قد أفلح من زكى نفسه بطاعة الله - عز وجل -، وصالح الأعمال، وخاب من دس نفسه في

(1) - تفسير ابن باديس أو مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، الشيخ عبد الحميد بن باديس، مج 1/356.

(2) - التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، مج 8، 12/18.

(3) - المرجع السابق، مج 2، 49/2.

(4) - سبق تخريجه ص 12.

(5) - التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، مج 15، 370/30.

المعاصي"⁽¹⁾، وتركية النفس تكون بتربيتها على الطاعات وهجرانها للمعاصي كما قال ابن باديس في تفسيره: "وتربية النفوس تكون بالتخلية عن الرذائل، والتخلية بالفضائل"⁽²⁾.

فإذا كان إصلاح البدن يتم بمعالجته بالحمية والدواء، فإن إصلاح النفس يكون بمعالجتها بالتوبة الصادقة، وإفساد البدن بتناول ما يحدث به الضرر، وإفساد النفس بمقارفة المعاصي والذنوب، هكذا تعتبر النفوس بالأبدان في باب الصلاح والفساد، في كثير من الأحوال، غير أن الاعتناء بالنفوس أهم وألزم لأن خطرهما أكبر وأعظم"⁽³⁾. ولأن صلاح الإنسان وفساده إنما يقاسان بصلاح نفسه وفسادها، ورقية وانحطاطه باعتبار رقي نفسه وانحطاطها، وما فلاحه إلا بزكائها، وما خيبته إلا بخبثها... فصلاح النفس هو صلاح الفرد، وصلاح الفرد هو صلاح المجموع، والعناية الشرعية متوجهة كلها إلى إصلاح النفوس، إما مباشرة وإما بواسطة"⁽⁴⁾، كما بين ذلك صلى الله عليه وسلم في حديثه: «أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ»⁽⁵⁾.

فإذا صلحت النفس الإنسانية صلح الفرد، وصلاح الفرد هو صلاح المجتمع، فإذا صلح المجتمع عم الخير والعدل والتكافل وكل ما شرعه الله تعالى لعباده، وبتعطلها وفسادها يختل نظام الاجتماع ويعود إلى الانحلال والباطل والظلم والسوء الذي نهى الله - عز وجل - عنه.

فمباشرة الأعمال الطيبة تساعد على تقويم الأخلاق وتركيتها، وتخليصها من

(1) - الجامع لأحكام القرآن، أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، 322/10.

(2) - تفسير ابن باديس أو مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، الشيخ عبد الحميد بن باديس، 277/1.

(3) - المرجع السابق، 207/1.

(4) - تفسير ابن باديس أو مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، الشيخ عبد الحميد بن باديس، 207-208/1.

(5) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، حديث رقم 52. وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات، حديث رقم 1599.

أمراض الأخلاق الرذيلة، ومن الأعمال المرغبة في اكتساب القيم الأخلاقية الفاضلة: القيام بشتى الطاعات من عبادات ومعاملات التي تزكي النفس وتسمو بالروح، والحرص على العيش وسط المجتمع الطيب والبعد عن رفقة السوء، حتى تحدث في النفس راحة وسكينة ووقار.

قال الإمام الغزالي (ت505هـ) في معرض حديثه عن أساليب الارتقاء بالنفس وتزكيتها: "الطريق إلى تركية النفس اعتياد الأفعال الصادرة من النفوس الزاكية الكاملة حتى إذا صار ذلك معتادا بالتكرار مع تقارب الزمان حدث منها هيئة للنفس راسخة تقتضي تلك الأفعال وتتقاضاه، بحيث يصير ذلك له بالعادة كالطبع فيخف عليه ما كان يستثقله من الخير فمن أراد مثلاً أن يحصل لنفسه خلق التواضع وغلب عليه التكبر فطريقه في المجاهدة أن يواظب على أفعال المتواضعين مواظبة دائمة." (1)

وقد بين القرآن الكريم منهج الإنسان في الأرض وكل ما يرتبط بشؤون حياته فيما بينه وبين ذاته، "وبينه وبين أهله، وفيما بينه وبين أقاربه، وفيما بينه وبين جيرانه، وفيما بينه وبين من تربطه به علاقات الحياة ومصالحها، وشؤون الجماعات وشؤون الأمم فيما بينها، كل هذه الشؤون سبل وطرق في الحياة تسلك ويسار عليها للبلوغ إلى الغايات المقصودة منها مما به صلاح الفرد والمجتمع" (2).

قال الطاهر بن عاشور: "فإذا بلغت الأمة إلى غاية حلبة مكارم الأخلاق على جمهورها، زكت نفوسها، وأثمرت غروسها وزال موحشها وبدا مأنوسها، فحينئذ يسود فيها الأمن وتنصرف عقولها إلى الأعمال النافعة وتسهل الألفة بين جماعتها فتكون عاقبة ذلك كله تعقلاً ورفاهية وإنصافاً، فينتظم المعاش" (3).

وهكذا نجد أن القرآن الكريم "دعا إلى التحلي بالأخلاق الكريمة دعوة عامة،

(1) - نقلا عن: موسوعة مصطلحات الإمام الغزالي، رفيق العجم، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت - لبنان، ط 1، 2000م، ص 155.

(2) - تفسير ابن باديس أو مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، الشيخ عبد الحميد بن باديس، مج 1/114.

(3) - أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، الطاهر بن عاشور، ص 117.

وفصل القول في كليهما، والحكمة في هذا البيان المفصل، توضيح معاني الأخلاق وتحديداتها، لئلا يختلف الناس فيها وتتدخل الأهواء في تحديد المراد منها، ومن مظاهر رحمة الله - عز وجل - عباده أن بين لهم ما يتقون وما يأخذون وما يتركون⁽¹⁾.

فالأخلاق الإسلامية إذن "ليست رأيا بشريا ولا نظاما وضعيا، وإنما هي مستمدة من شرع رب البشر، سواء منها ما أثبتته الشرع ابتداء أو أقره مما تعارف عليه الناس، وحتى ما لم ينص عليه الشرع من محاسن الأخلاق، فربانيته في اندراجها تحت أصل شرعي عام: "ما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن" فهي ربانية المصدر، وربانية الهدف والغاية والقصد، غير أن أصول الأخلاق وأمهايتها مستمدة من الشرع، ويتبغي المسلم بها رضا الله." (2) وهذا ما يجعل المنهج الأخلاقي الرباني الذي جاء به الإسلام هو الأصلح مطلقا ليكون أساسا للسلوك الإنساني.

الفرع الرابع: نماذج من القيم الأخلاقية الإسلامية في كتب التفسير

إن المنهج القرآني جعل للقيم الأخلاقية مكانة عظيمة في الإسلام، إذ لا تخلو سورة من سوره، بل ولا تكاد تخلو آية من آياته من ذكر قيمة من القيم الإسلامية الفاضلة، ولهذا نجد أن علماء التفسير أولوا موضوع القيم اهتماما كبيرا في تفاسيرهم، بحيث لا تخلو صفحة من الصفحات من ترديد لمصطلحات ذات مدلولات قيمة أخلاقية فردية وجماعية، ومن ذلك:

1- الآيات الأمرة بقيمة القسط:

• ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف: 29]. أي "بالعدل في العبادات والمعاملات، لا بالظلم والجور، فالقسط والعدل أمر عظيم، وركيزة أساسية من ركائز هذا الدين، فلا بد من مراعاة العدل الاجتماعي بين مختلف طبقات المجتمع، وإعطاء كل ذي حق

(1) - أصول الدعوة، عبد الكريم زيدان، ص 78.

(2) - هذه أخلاقنا حين نكون مؤمنين حقا، محمود محمد الخزندار، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ط 2، 1417هـ/1997م، ص 20.

حقه، فالناس كلهم في حاجة مشتركة إلى بعضهم البعض، وما من أحد إلا وله حقوق على غيره، ولغيره حقوق عليه، وهذه الحاجة المشتركة والحقوق المترتبة كان الاجتماع والتعاون ضروريين لحياة المجتمع البشري واطراد نظامه. وقيام كل واحد من أفراد المجتمع بما عليه من حقوق نحو غيره هو الذي يسد تلك الحاجة المشتركة بين الناس⁽¹⁾، وكل إنسان مأخوذ بأن يعدل، لأن إقامة العدل مطلب إنساني، إذ أن الحياة لا تستقيم لأحد إلا بإقامة القسط.

2- ومن الآيات التي دعت إلى قيمة البذل والعطاء (الإنفاق الإلزامي والتطوعي)

• ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَآمَرُوا بِالمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج: 29]، فقد حدد كتاب الله -عز وجل- المبادئ الأساسية التي يجب أن ترعاها الدولة الإسلامية، لكي يكون المجتمع الإسلامي في انسجام تام مع التوجه الإلهي العام، ومن بين هذه المبادئ: "إيتاء الزكاة، وتوثيق رباط المحبة والتكافل بين عباد الله، بحيث يكون المجتمع الإسلامي والدولة الإسلامية على درجة كبيرة من الإنسانية والتعاطف والتراحم والتواصل، بدلا من الأنانية والتقاطع والتهاresh والتقاتل، شعارهما (نفسي وأخي، بل أخي قبل نفسي، لا نفسي نفسي)، والزكاة هي دعامة الإخاء والوثام بين الإخوة المؤمنين، والحق الأول من حقوق المعسرین على الموسرین"⁽²⁾.

• ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الحديد: 7]، قال ابن عطية: "هذه الآية تجمع الزكاة والتطوع، فالزكاة واجبة، والتطوع مندوب عليه، وظاهر هذه الآية أنها مراد بها جميع وجوه البر"⁽³⁾، ولا شك أن في الانفاق تحرير للإنسان من عبودية المال وسيطرته على

(1)- تفسير ابن باديس أو مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، الشيخ عبد الحميد بن باديس، مج1/218.

(2)- التيسير في أحاديث التفسير، الشيخ محمد المكي الناصري، 4/181.

(3)- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي، 2/277.

النفس، فإذا تمكن الإنسان من مقاومة سلطان المال والشح هان عليه الإنفاق، وقام بهذه الفريضة التي تكفل تحقيق التضامن الاجتماعي بين الغني والفقير، "والحال أن المسلمين لو حرصوا على تنفيذ نظام الإسلام المحكم فيما يتعلق بإخراج الزكاة لساد بينهم التآلف والتعاون والتراحم والتواصل مما يسعد حالهم ويعلي شأنهم وينزع من صدور فقرائهم غل البغضاء وأضغان الشرور"⁽¹⁾.

3- ومن الآيات التي دعت إلى قيمة الإحصان والعفاف

• ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّانَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: 32]، بين تعالى قبح فاحشة الزنى بقوله سبحانه: ﴿إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً﴾ والفاحشة: هي الرذيلة التي تجاوزت الحد في القبح"⁽²⁾. وقد بين الحق سبحانه وتعالى سوء عاقبة الزنى بقوله: ﴿وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ أي بئس طريقا طريقه، طريق مؤد إلى شرور ومفاسد كثيرة في الدنيا، وعذاب عظيم في الآخرة، فهو طريق إلى هلاك الأبدان، وفساد الأعراض، وضياع الأموال وخراب البيوت وانقطاع الأنساب، وفساد المجتمع وانقراضه، زيادة على ما فيه من معنى القتل للنفوس"⁽³⁾. وقد جاءت سورة النور ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيَشْهَدَ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: 2]، "لتضع النقط على الحروف، وتبين آياتها البينات أسس التربية والخلقية النظيفة، التي يجب أن يقوم عليها المجتمع الإسلامي والأسرة المسلمة، بصفاتها الخلية الأولى وحجر الزاوية في بناء ذلك المجتمع، حتى يقضى على الخصال الجاهلية، والمفاهيم الوثنية غير الأخلاقية، وهكذا أشهرت سورة النور الحرب على الزنى وما ألحق به، سواء كان عن طوعية أو إكراه،

(1)- القيم الروحية في الإسلام، محمد حلمي عبد الوهاب، روافد، الإصدار 49، الكويت، صفر 1433هـ/يناير 2012م، ص 70.

(2)- تفسير ابن باديس أو مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، الشيخ عبد الحميد بن باديس، مج 1/245.

(3)- المرجع السابق، 1/246.

وحددت طريقة الزواج المشروع⁽¹⁾.

4- ومن الآيات الأمرة بقيمتي العفو وكظم الغيظ

● ﴿وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: 134]، تجدد الآيات الكريمة حديثها عن معاملة المؤمنين فيما بينهم، فتصفهم بأوصافهم الكاشفة، وسماهم المميزة، حتى يتمكن من يريد اللحاق بركبهم والانتماء إليهم، من السلوك على نهجهم، والسير في طريقهم⁽²⁾، ومن هنا يحدد القرآن الكريم صفات المؤمن بكونه هو الذي يعفو عن الناس، ويلجم غضبه رغم قدرته عليه، و"العفو من صفة الله مع القدرة على الانتقام"⁽³⁾، وبذلك يتفادى المؤمن كل مظاهر الغيظ وآثار الغضب، ولا شك أن "أقوى القوى تأثيراً على النفس القوة الغاضبة فتشتهي إظهار آثار الغضب، فإذا استطاع إمساك مظاهرها، مع الامتلاء منها، دل ذلك على عزيمة راسخة في النفس، وقهر الإرادة للشهوة، وهذا من أكبر قوى الأخلاق الفاضلة"⁽⁴⁾.

5- ومن الآيات الأمرة بقيمة الإحسان في القول والعمل

● ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: 82]، وقوله تعالى: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾ [الإسراء: 53]، ذكرت الآيات الكريمة الآداب السامية والأخلاق الاجتماعية التي يجب أن يلتزمها المسلمون في معاملة بعضهم لبعض، منبهة إلى وجوب الإحسان في القول، وعدم الخوض في أعراض الآخرين، أو السخرية والاستهزاء بهم، فإذا حسن الكلام "قويت روابط الألفة، وتمكنت أسباب المحبة، وامتد رواق السلام بين الأفراد والعشائر والأمم، وتقاربت العقول والقلوب بالتفاهم، وتشابكت الأيدي على

(1) - التيسير في أحاديث التفسير، الشيخ محمد المكي الناصري، 246/4.

(2) - التيسير في أحاديث التفسير، الشيخ محمد المكي الناصري، 265/1.

(3) - الجامع لأحكام القرآن، أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، 5/3.

(4) - التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، 91/4.

التعاون والتآزر، وجنى العالم من وراء ذلك الأمن واطراد العمران" (1).

6- الآيات الأمرة بقيمتي الاستقامة والوفاء بالعهود.

● ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ﴾ [هود: 112]. وهذه دعوة صريحة إلى المسارعة إلى إصلاح النفس بالتوبة والإنابة، لأن النفس الإنسانية إذا صلحت صلح الفرد، وصلاح الفرد هو صلاح المجتمع، وإذا صلح المجتمع عم الخير والعدل والتكافل وكل ما شرعه الله تعالى لعباده، وبتعطلها وفسادها يحتل نظام الاجتماع ويعود إلى الانحلال والباطل والظلم والسوء الذي نهى الله عنه.

● ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [النحل: 91]، الوفاء بالعهد "فضيلة فردية وهي عنوان كمال النفس، وفضيلة اجتماعية وهي ثقة الناس بعضهم ببعض" (2). وإن العهد الذي يأمر الله بالوفاء به هو كل عهد فيه صلاح الناس وانتظام معاشهم ومعادهم، والوفاء بالعهد أمر اعتنى به كتاب الله لما يترتب عنه من نشر الثقة بين الناس ومن تيسير معاملاتهم وانتظامها، لذلك أمر الله عباده ألا تنتقض العهود والمواثيق لأن فيها قوة الأمة وازدهارها، وقد ذكر كتاب الله "أن ذاك النقض مؤد إلى انحدار الأمة وارتكاسها بعد قوتها وتماسكها وقد صور ذلك بزلل القدم وانزلاقها بعد أن كانت ثابتة راسخة، والزلل الذي يقع للأمة هو ترديها إلى حال الضعف بعد القوة" (3).

7- الآيات الأمرة بقيمة الشورى.

● ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [الشورى: 35]، إن نظام الشورى قيمة من القيم الاجتماعية الكبرى في

(1)- تفسير ابن باديس أو مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، الشيخ عبد الحميد بن باديس، مج 1/286.

(2)- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، مج 2، 132/2.

(3)- الوجيز في تفسير آي الكتاب العزيز، د. مصطفى بن حمزة، ص 227.

المنهج القرآني، ولهذا نرى حرص الإسلام البالغ على تطبيقها بالمجتمع، باعتبارها من أهم العوامل المساهمة في التنمية الاقتصادية والاجتماعية للأمم والشعوب، وقد "أراد الله أن يسن للأمة الإسلامية من بعد رسولها سنة قائمة، هي مفتاح نجاحها، وعنوان فلاحها أمد الدهر، ألا وهي شورى المسلمين في أمورهم، وجعل أمرهم شورى بينهم، وهذا ورسول الله معصوم عن الخطأ، ومعصوم من الناس، ولكن الله أمره بالشورى لتكون سنة للمسلمين من بعده، حتى يعالجوا شؤونهم في جو من الوفاق والوئام، لا اختلاف بعده ولا اصطدام، ولا فرقة من ورائه ولا انقسام"⁽¹⁾، وذلك قوله تعالى: ﴿شَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران 159].

(1)- التيسير في أحاديث التفسير، الشيخ محمد المكي الناصري، 280/1.

خاتمة

لقد حرص القرآن الكريم، بوصفه خاتم الكتب السماوية، على توجيه الإنسان، وتنظيم حياته، الفردية والجماعية، على أسس قيّمة، ومبادئ ثابتة لن يضل الإنسان، ولن يتيه المجتمع عنها، ما استنار بنورها، وسار على هديها؛ حيث قدم دستوراً شاملاً لمنظومة متكاملة من القيم والأخلاق والمعاملات، بما يجب اتّباعه وما يجب اجتنابه؛ لبناء مجتمع مزدهر ومتطور، وآمن من الفتن والشوائب، ورغم هذا الدور الريادي للقيم الإسلامية فإن الجهود المبذولة إلى الآن في استنباط منظومة قيمية إسلامية انطلاقاً من النصوص الشرعية لا تزال دون المستوى المطلوب، ولم تستجب لحاجات الإنسانية في عصر العولمة.

ومن خلال رحلتي مع هذا البحث، أستطيع - بفضل الله تعالى - أن أخرج منه بهذه النتائج والتوصيات التي توصلت إليها، وأذكرها في الآتي:

- إن اهتمام القرآن الكريم بالقيم الأخلاقية والاجتماعية الفاضلة يؤكد أن الإصلاح الاجتماعي منهج حياة لا تستغني عنه البشرية.

- إن المطلع على التراث التفسيري الضخم يجده حافلاً بثروة مهمة من المصطلحات والمفاهيم ذات أبعاد قيمية تحتاج إلى دراسة تأصيلية تطبيقية.

- نصت الكثير من الآيات القرآنية في مواضع شتى من كتاب الله سبحانه وتعالى، على الأمر بالتخلق بالأخلاق الحسنة لجعل المجتمع الإسلامي وحدة متماسكة، وكتلة مترابطة فيما بينها، تجمعها رابطة العقيدة.

- تشكل إسهامات علماء التفسير قديماً وحديثاً في موضوع القيم مدخلاً واسعاً لبناء منظومة قيمية قوية، تستعين بها الحضارة الإنسانية لتنأى بنفسها عن الشقاء وتذوق أكبر نصيب من السعادة.

- دعوة الباحثين والمهتمين إلى تعميق البحث في موضوع القيم من خلال النصوص الشرعية، والتراث الإسلامي الزاخر.

- الحرص على إدماج القيم الإسلامية في منهاج التعليم عموماً والأساسي منه

على وجه الخصوص لترسيخ الهوية الحضارية للأمة الإسلامية.

قائمة المصادر والمراجع

- أحكام القرآن، لأبي بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي (468هـ-543هـ)، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الفكر، بيروت-لبنان، 1414هـ/1994م.
- أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، محمد الطاهر بن عاشور، دار السلام مصر، ط2، 1431هـ/2010م.
- أصول الدعوة، عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، ط9، 2002م.
- الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، سوريا، ط4، 1417هـ/1996م.
- ابن حزم وموقفه من الفلسفة والمنطق والأخلاق، وديع واصف مصطفى، منشورات المجمع الثقافي، 1421هـ، 2000م، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة.
- البحر المحيط في التفسير، محمد بن يوسف أبي حيان الأندلسي الغرناطي (654هـ-754هـ)، طبعة جديدة بعناية صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت-لبنان، 1412هـ/1992م.
- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، 1997م.
- مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، عبد الحميد بن باديس (1359هـ/1940م)، خرج أحاديثه أبو عبد الرحمان محمود، دار الرشيد، الجزائر، 1430هـ/2009م.
- التيسير في أحاديث التفسير، الشيخ محمد المكي الناصري، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، ط1، 1405هـ/1985م.

- التداول الحضاري في القرآن الكريم، فرج أحمد الرفاعي سالم علام، دار روابط للنشر وتقنية المعلومات، مصر، ط1، 1437هـ/2016م.
- تهذيب الأخلاق، الجاحظ، قرأه وعلق عليه أبو حذيفة إبراهيم بن محمد، دار الصحابة للتراث، 1410هـ/1989م.
- تطور الفكر الأخلاقي في الفلسفة الغربية، محمد مهران رشوان، دار قباء للطباعة والتوزيع، القاهرة، 1998م.
- التطور القيمي وتنمية المجتمعات الدينية، محمد إبراهيم كاظم، المجلة الاجتماعية القومية، القاهرة، 1971م.
- الأخلاقية الإسلامية، مقداد يالجن، دار عالم الكتب، الرياض، ط1، 1412هـ/1992م.
- التصوير القرآني للقيم الخلقية والتشريعية، علي علي صبح، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، د.ت.
- الثقافة الإسلامية: تخصصا ومادة وقسما علميا، عبد الله بن إبراهيم الطريقي، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ط1، 1417هـ.
- الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، ضبطه محمد إبراهيم الحفناوي، خرج أحاديثه محمود حامد عثمان، دار الحديث، القاهرة، 1428هـ/2007م.
- السلفية وقضايا العصر، عبد الرحمان بن زيد الزنيدي، مركز الدراسات والإعلام دار إشبيليا، الرياض، ط1، 1418هـ/1998م.
- علم الأخلاق الإسلامية، مقداد يالجن محمد علي، دار عالم الكتب للطباعة والنشر، الرياض، ط2، 1424هـ/2003م.
- علم النفس الاجتماعي، حامد زهران، عالم الكتب، القاهرة، ط5، 1984.
- الفعل الحضاري في القرآن الكريم، محمد زرمان، دار الكتاب الثقافي، 1430هـ/2009م.

- فهرسة ابن خير الإشبيلي، أبو بكر محمد بن خير الأموي الإشبيلي، المحقق: محمد فؤاد منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1419هـ/1998م.
- الفوائد، لابن قيم الجوزية (ت751هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، ط2، 1393هـ/1973م، 1/143.
- القيم الروحية في الإسلام، محمد حلمي عبد الوهاب، روافد، الإصدار 49، الكويت، صفر 1433هـ/يناير 2012م.
- القيم الإسلامية والتربية، علي خليل مصطفى أبو العينين، مكتبة إبراهيم حليبي، المدينة المنورة، ط1، 1408هـ/1988م.
- القاموس المحيط، للفيروزآبادي، تحقيق: مكتب التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، ط8، 1426هـ/2005م.
- القيم الأخلاقية، عادل العوا، مطبعة جامعة دمشق، د.ت.
- القيم الإسلامية والتربية، علي خليل مصطفى أبو العينين، مكتبة إبراهيم حليبي، المدينة المنورة، ط1، 1408هـ/1988م.
- لسان العرب، ابن منظور الإفريقي المصري، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق ابن عطية (481هـ-541هـ)، دار ابن حزم، بيروت-لبنان، ط1، 1423هـ/2002م.
- مفهوم الإنسان في الفكر الإسلامي، عمر التومي الشيباني، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، 1987م.
- مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمان ابن خلدون الحضرمي، دار القلم، بيروت-لبنان، ط4، 1981م.
- المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني (ت502هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم-الدار الشامية، دمشق-بيروت، ط1، 1412هـ.
- مقاربات في المسألة الأخلاقية، مصطفى بن حمزة، مطبعة الأمنية، الرباط، 2019م.

- منهج القرآن في إصلاح المجتمع، محمد السيد يوسف، دار السلام، بيروت، ط2، 1422هـ/ 2004م.
- معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، أحمد، تحقيق وضبط عبد السلام هارون، دار الجليل، بيروت-لبنان، ط1، 1411هـ/ 1991م.
- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، إبراهيم مصطفى، أحمد حسن الزيات، حامد عبد القادر، محمد علي البخار، مطبعة دار الدعوة، تركيا، 1989م.
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي، تحقيق عبد العظيم الشناوي، المكتبة العلمية، بيروت، ط2، 2010م.
- منظومة القيم القرآنية في المجال الكلامي والأخلاقي، أحمد بن سعود السيبي، مجلة جامعة القدس للأبحاث والدراسات، العدد 25، شتبر 2011م.
- موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، إعداد مجموعة من المختصين بإشراف صالح بن عبد الله إمام وخطيب الحرم المكي، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، ط1، جدة، 1418هـ/ 1998م.
- مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق صفوان عدنان داوودي، دار القلم، بيروت، ط2، 1418هـ/ 1997م.
- المنهج القرآني في تربية القيم الأخلاقية والاجتماعية، أحمد الزباخ، مطبعة بني ازناسن، سلا، ط1، 2004م.
- المدخل إلى علم الاجتماع، فاروق العادلي، مطبعة دار زهران، جدة، ط1، 1413هـ/ 1992م.
- مدونة القيم في القرآن والسنة، محمد بالبشير الحسني، مطبعة طوب بريس، الرباط، ط1، 2008م.
- المجتمع الإسلامي، منطلقاته وأهدافه، محمد تقي المدرسي، دار الجبل، بيروت، ط1، 1982م.
- المنهاج القرآني في التشريع، عبد الستار فتح الله سعيد، رسالة دكتوراه قدمت جامعة الأزهر كلية أصول الدين تخصص التفسير والحديث، مصر، ط1، 1413هـ/ 1992م.

- موسوعة الأخلاق الإسلامية، إعداد: مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ علوي بن عبد القادر السقاف، الناشر: موقع الدرر السنية على الإنترنت dorar.net، عدد الأجزاء: 3، تم تحميله في ربيع الأول 1433هـ.
- الوجيز في تفسير آي الكتاب العزيز، مصطفى بن حمزة، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط، ط1، 1430هـ/2009م.
- هذه أخلاقنا حين نكون مؤمنين حقاً، محمود محمد الخزندار، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ط2، 1417هـ/1997م.